محمد الرئيس

الرئيس الصديق:

من الحسن أن نكتب عن محمد الرئيس بعد كتابتنا عن محمد الصديق.. لأنه هو قد جعل للرئاسة معنى الصداقة المحتارة، فمحمد الرئيس هو الصديق الأكبر لمرؤوسيه، مع استطاع أن يعتز بكل ذريعة من ذرائع السلطان..

فهناك الحكم بسلطان الدنيا.

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة الآخرة.

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة.

وكل أولئك كان لمحمد الحق الأول فيه: كان له من سلطان الدنيا كل ما للأمير المطلق اليدين فى رعاياه، وكان له من سلطان الآخرة كما ما للنبى الذى يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون.. وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين أتباعه أكفأ كفء وأوقر مهيب.

ولكنه لم يشأ إلا أن يكون الرئيس الأكبر، بسلطان الصديق الأكبر: بسلطان الحب والرضا والاختيار.

فكان أكثر رجل مشاورة للرجال، وكان حب التابعين شرطا عنده من شروط الإمامة فى الحكم بل فى العبادة فالإمام المكروه لا ترضى له الصلاة.

وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه.. فروى أنه كان فى سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة. فقال رجل: يا رسول الله! على ذبحها وقال آخر. وعلى سلخها وقال آخر: على طبخها: فقال ﷺ: وعلى جمع الخطب.

فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل قال: علمت أنكم تكفوننى، ولكن

أكره أن أتميز عليكم، إن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه".

وأبى، والمسلمون يعلمون فى حفر الخندق حول المدينة، إلا أن يعمل معهم بيديه. ولولا أنها سنة حميدة يستنها للرؤساء فى حمل التكاليف لأعفى نفسه من ذلك العمل وأعفاه المسلمون منه شاكرين.

وجعل قضاء حوائج الناس أمانا من عذاب الله وكما قال: "إن الله تعالى عبادًا اختصهم بحوائج الناس يفزع إليهم الناس فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله".

***

الشرع له الظاهر:

وقد كان أعلم الناس أن الأعمال بالنيات ولكنه علم كذلك "إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم" فوكل الضمائر إلى أصحابها وإلى الله، وحاسب الناس بما يجدى فيه الحساب.

سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم قائلا: "إنما أنا بشر. وأنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق، فأقضى له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذوها أو فليتركها". واليوم يكثر اللاغطون بحرية الفكر ويحسبونها كشفا من كشوف الثورة الفرنسية وما بعدها، ويحرمون على الحاكم أن يؤاخذ الناس بما فكروا به ما لم يتكلموا أو يعلموا ويكن فى كلامهم وعملهم ما يخالف الشريعة.

فهذا الذى يسحبونه كشفا من كشوف العصر الأخير قد جرى عليه حكم النبى قبل أربعة عشر قرنا، وشرعه لأمته فى أحاديث حيث قال ﷺ: "إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها ما لم تتكلم به، أو تعمل به".

الرحمة فوق العدل

وزعموا كذلك أن تـقديم الرحمة على العدل فى تطبيق الشـريعة ودعوة من دعوات المصلحين المحدثين لم يسبـقوا إليها، وهى هى دعوة النبى العربى التى كررها ولم يدع قط إلى غيرها فقال: "إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتى تغلب غـضبى" وقال: "إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف" وقال: "إن الله تعالى لم يبعثنى معنتـا ولا متعنتًا ولكن بعـثنى معلما مـيسرا: " وروى عنه غيـر صاحب من أصحـابه أنه ما خير بين حكمـين إلا اختار أيسـرهما، ما لم يكن فيـه خرق للدين.

***

بنية الضعفاء:

وكان يوصى بالضعفـاء ويقول لصحبه: "ابغونى الضعـفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" ويذم الترفع على الخـدم والفقراء "فما استكبر من أكل مع خادمه وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها".

لكنه من الرحمة بالصغير لا ينسـى حق الكبير: "من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا".

إذ ليس الإنصاف. حرامـا على الكبراء حلالا لمن صغـر دون من كبر، فلكل حق ولكل إنصاف وإنزال منازلهم كما أمر قومه هـو خير شعار تستقيم عليه الحكومة، وتنعكس أمور الأمم بانعكاسه.

أهل الكفاءة لا أهل الثقة:

وكان النبى الرئيس يعلم أن الرئاسة لجميع المرؤسـين وليست للموافقين منهم دون المحالفين، فيأمر قومه أن "اتـقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنها ليس دونها حجاب".

وإذا قال هذا رئيس ونبى فـإنها لأولى السنن أن يتبـعها الرؤساء كـافة، لأنهم لم يبعثوا لنشر الدين ومحو الفكر كما بعث الأنبياء.

لقد كـانت سنة الرئاسة عند مـحمد هى سنة الصـداقة.. فلو اسـتغنى حكم عن الشريـعة لا ستـغنى عنها حكم هذا الرئيس جـاء بالشريعة لجـميع متبعيه.

* * *

obeikandl.com